ترجمة مختصرة للإمام أبي حامد الغزالي[82]

رحمه الله

هو الإمام حُجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ولد بطوس سنة 450 هـ، تفقه بإمام الحرمين أبي المَعالي الجُوَيْني (ت 478 هـ) حتى برع في المذهب الشافعي والخلاف والأصلين (الكتاب والسُّنّة)، وقرأ الفلسفة، ورد على الفلاسفة في كتابه: "تهافت الفلاسفة" ، وكان إمام الحرمين يصفه بقوله: «بَحرٌ مُغدِق»، من مؤلفاته: المستصفى (في أصول الفقه) وإحياء علوم الدين، وشفاء العليل في بيان مسائل التعليل، وغير ذلك من الكتب في علوم شتى، توفي رحمه الله بطوس سنة 505 هـ.

مَتْنُ عقيدة الإمام أبي حامد الغزالي

المتوفي سنة 505 هـ رحمه الله

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ترجمة عقيدة أهل السُنّة في كَلمَتيّ الشهادة. معنى الكلمة الأولى: لا إله إلّا الله، فنقول وبالله التوفيق:

[الحَمْدُ للهِ المُبْدِئِ المُعِيد، الفعَّالِ لِما يُرِيد، ذِي العَرْشِ[83] المَجِيد، والبَطْشِ الشَّدِيد، الهادي صَفْوَة العبِيدِ إلى المَنْهَجِ الرَّشِيدِ والمَسْلَكِ السَّدِيد، المُنْعِم علَيْهِمْ بعد شهادةِ التَّوْحيدِ بِحِراسَةِ عقَائِدِهِمْ عنْ ظُلُماتِ التَّشْكيكِ والتَّرْديد، السَّالِكِ بِهِمْ إلى إتِّباع رسُولِهِ المُصْطَفى واقتِفاءِ آثَارِ صَحْبِهِ الأكْرَمينَ الْمُكَرَّمينَ بالتَّأييد والتَّسديد، الْمُتَجَلِّي لَهمْ في ذَاتِهِ وأفْعالِهِ بِمَحَاسِنِ أوْصافِهِ الَّتي لا يُدْرِكُها إلا مَنْ ألْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيد، الْمُعَرِّفِ إيَاهُمْ أنَّه في ذَاتِهِ واحدٌ لا شَرِيكَ لهُ، فَرْدٌ لا مَثِيلَ لَهُ، صَمَدٌ لا ضِدَّ لَهُ، مُنْفَرِدٌ لا نِدَّ لَهُ، وأنَّهُ واحدٌ قَدِيمٌ[84] لا أوَّلَ له، أزَليٌّ لا بِدايةَ له، مُسْتَمِرُّ الوُجُودِ لا آخِرَ له، أبَدِيٌّ لا نِهاية له، قَيُّومٌ لا انْقِطَاعَ له، دائِمٌ لا انْصِرَامَ[85] له. لَمْ يَزَلْ ولا يَزَالُ مَوْصُوفاً بِنُعُوتِ الجَلال، لا يُقْضَى عليه بالانْقِضاءِ والانْفِصالِ بِتَصَرُّمِ الآبادِ وانْقِرَاضِ الآجَالِ، بَلْ ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾[86].

[82] **المرجع**: "تاريخ التشريع الإسلامي" للشيخ محمد الخضَري بك ، الناشر: دار الفكر، ط 7، بيروت 1981.
[83] " ذي العرش ، أي صاحب العرش، أي مالكه ومُدَبّره ومُنشئه " (مِن شرح أبي العباس أحمد بن زرّوق الفاسي على عقيدة الإمام الغزالي، مِن الطبعة المُشار إليها في صفحة 5).
[84] معنى كلمة **قديم** في علم العقيدة **الأزَلي**، أيْ الذي لا بداية لوجوده.
[85] أي لا انقطاع ولا تناهي لوجوده.
[86] سورة الحديد: آية رقم 3.

التَّنْـزيه[87]:

وأنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ[88] مُصَوَّرٍ ولا جَوْهَرٍ مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ، وأنَّـهُ لا يُمَاثِلُ الأجْسامَ لا فـي التَّقديرِ ولا فـي قَبُولِ الانْقِسامِ، وأنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ ولا تَحُلُّهُ الجَوَاهِرُ، ولا بِعَرَضٍ[89] ولا تَحُلُّـهُ الأعْرَاضُ، بـل لا يُمَاثِلُ مَوْجُوداً ولا يُماثِلُهُ مَوْجُودٌ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[90] ولا هو مِثل شيءٍ.

وأنَّهُ لا يَحُدُّهُ المِقدارُ ولا تَحْوِيهُ الأقْطَارُ ولا تُحيطُ بِهِ الجِهاتُ ولا تَكْتَنِفُـهُ الأرْضُونُ ولا السَّماوات. وأنَّـهُ مُسْتَوٍ[91] على العَرْشِ على الوَجْهِ الَّذي قَالَهُ وبِالمَعْنَى الَّذي أرادَهُ، اسْتِوَاءً مُنَزَّهاً عنِ المُمَاسَّةِ والاسْتِقرارِ والتَّمَكُّنِ والْحُلُولِ والانْتِقَالِ[92]. لا يَحْمِلُهُ العَرْشُ بل العرْشُ وحَمَلَتُـهُ مَحْمُولُـونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِـهِ ومَقْهُورُونَ في قَبْضَتِه[93].

---

87 **التَّنْزِيهُ** هو التَّسبيحُ والتّقديس والتَّعظيمُ عمّا لا يليق بربوبية وأُلوهيّة الله، سُئِلَ الرسول عليه الصلاة والسلام عن معنى "سبحان الله"، فقال عليه الصلاة والسلام: « تنزيهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عن كُلِّ سوء»*، **فالتّسبيحُ** هو التّنزيه، والتنزيه هو تعظيمُ اللهِ بنَفْيِ النقائص عنه وإثبات صفات الكَمَال له تعالى.

* أخرجه الإمام أبو بكر البَيْهَقي (ت458 هـ) بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 55 بتعليق الشيخ الكَوْثري. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت 2001 .

88 نفي الجِسْميّة عن الله يستلزمُ نَفْيَ التَّركيب في ذاته، سواء أكان التَّركيب مِن أعضاء أو مِن غير ذلك.

89 **العَرَضُ** هو الصفة القائمة بالجَوْهر والجِسم. ولقد نَفَى الإمام الغزالي الجِسْمِيةّ والجَوْهَرية والعَرَضِيّة عن ذات الله، لأنّ هذه الأشياء المذكورة حادثة، مخلوقة.

90 سورة الشورى: آية رقم 11.

91 الأفضل عدم استخدام كلمة " مُسْتوٍ "، وهي صيغة صفة، حيث لم ترد في القرآن الكريم ولا في السُّنّة النَبويّة، والذي وَرَدَ: " استوى " بصيغة الفِعل.

92 لقد اتّبَعَ الإمام الغزالي **مذهب التّفويض** حِيالَ آيات الإستواء الواردة في القرآن الكريم، فأثبت اللفظ وفوَّضَ معناه إلى الله، حيث قال الإمام الغزالي رحمه الله: « وبِالمَعْنَى الَّذي أَرَادَهُ »، والإمام الغزالي رحمه الله لم يترك مَجالاً لتحريف معنى كلامه بخصوص الإستواء، حيث وضّحَ وصَرّحَ بأنّ مفهومه للإستواء ليس بمعنى المُمَاسّة بين الخالق والمخلوق (العرش)، وليس بمعنى الاستقرار عليه، وليس بمعنى التمَكُّن والحُلول فيه، ولا بمعنى الانتقال مِن مكان إلى مكان، فكُلُّ هذه الأمور المذكورة: المُماسّة والاستقرار، أو الجلوس، والحُلول والانتقال مِن صفات المخلوقات، وليست مِن صفات الخالق. ومِن الأئمة الذين اتبعوا مذهب التفويض حِيال آيات الإستواء **الإمام الشافعي** رحمه الله، حيث قال عندما سُئِل عن الاستواء: « آمنتُ بلا تشبيه، وصَدقتُ بلا تمثيل، واتّهَمتُ نفسي في الإدراك، وأُمسكُ عن الخوْض فيه كل الإمساك » ("شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 64). وسُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن الاستواء فأجاب: « الاستواءُ كما أخبر لا كما يخطر للبشر » (المرجع السابق)، **قوله:** « لا كما يخطر للبشر » هو نفيٌ صريحٌ للمعنى المُتبادر إلى الذهن مِن لفظ الاستواء، أي نفيٌ للمعنى المفهوم منه في حقِّ البشر، وهو الجلوس، أو الإرتفاع الحِسّي على الشيء أو الاستقرار عليه. وجاء في "طبقات الحنابلة" (مجلد 2 / ص 256، طبعة دار الكتب العلمية، ط 1) أيضا عن **الإمام أحمد بخصوص الاستواء ما نصه:** « وكان - الإمام أحمد - يقول في معنى "الاستواء": هو العُلُوُّ والارتفاع، ولم يَزَل اللهُ تعالى عالياً رفيعاً قبل أنْ يخلق عرشه، فهو فوق كلّ شيء والعالي على كلّ شيء. وإنما خَصَّ اللهُ العرشَ لمعنى فيه مُخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. فامتدح اللهُ نفسَه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا. **ولا يجوز أن يُقال:** استوى بمُماسّة ولا بملاقاة، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيرا. **واللهُ تعالى لم يَلْحَقهُ تَغَيُّرٌ ولا تَبَدّل، ولا يلحقه الحدود قبل خَلْقِ العرش ولا بعد خَلْقِ العرش.** وكان يُنكر على مَن يقول: إنّ اللهَ في كُلِّ مكان بذاته، لأنّ الأمكنة كلها محدودة » ، فالاستواء عند الإمام أحمد رحمه الله هو العُلُوُّ **المَعْنَوي**، وليس الحِسّي، وهذا واضح في قوله: « ولا يجوز أن يُقال: استوى بمُماسّة ولا بملاقاة »، فالمُمَاسّة هي مِن لوازم الاستقرار والجلوس والجِسْمِيّة، والملاقاة هي المُواجهة والمُقاربة مع وجود مسافة. فنفيُ المُماسّة والملاقاة بخصوص الاستواء على العرش يستلزم نَفْيَ الاستقرار والجلوس عليه ونَفْي الجِسْمِيّة عن ذات الله. وهناك أيضاً **مذهب التّأويل** بخصوص الاستواء، وتأويله: **الاستيلاء** والقَهْر، أو ارتفاعُ ذِكْر اللهِ على العرش. وكلا المذهبين، **التّفويض والتأويل**، مِن مذهب أهل السُّنة. وهنالك **مذهبٌ أخر**، وهو الأخذ بظاهر النَّص دون الأخذ بعين الاعتبار لأساليب اللغة العربية في الخطاب مِن مَجاز وكِناية وإضمار، وغير ذلك. ويُمثل هذا المذهب **المُجَسِّمَة**، ففسروا الاستواء بارتفاع الله الحِسّي على العرش والاستقرار (الجلوس) عليه، كَوْنهم فهموا مِن كلمة "العرش" **فقط** سرير المَلِك، وبما أنّ اللهَ مَلِكُ المُلوك، وَوَرَدَ في القرآن الكريم ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فهموا مِن ذلك أنّ اللهَ ارتفع فوق العرش واستقرَّ (جلسَ) عليه، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيرا.

93 "مقهورون في قبضته" هو كناية عن مُطلق السيطرة، لا أنّ لله قبضة، بها يقبض! سبحانه عن الأعضاء والحدود.

وهو فَوْقَ العَرْشِ والسَّماءِ وفَوْقَ كُلِّ شَيءٍ إلى تُخُومِ الثرَى، فَوْقِيَّةً لا تَزِيدُهُ قُرْباً إلَى العَرْشِ والسَّمَاءِ كَما لا تَزِيدُهُ بُعْداً عنِ الأرْضِ والثَّرَى[94]. بل هو رَفِيعُ الدَّرَجاتِ عنِ العَرشِ والسَّمَاءِ كما أنَّهُ رفيعُ الدَّرجاتِ عنِ الأرْضِ والثَّرى. وهو مَعَ ذلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُود[95]، وهو أقْرَبُ إلَى العَبْدِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد ﴿على كُلِّ شَيءٍ شَهيداً ﴾[96]، إذْ لا يُمَاثِلُ قُرْبُهُ قُرْبَ الأجْسَامِ كما لا تُمَاثِل ذَاتُهُ ذَاتَ الأجْسامِ، وأنَّهُ لا يَحُلُّ في شيءٍ ولا يَحُلُّ فيه شيءٌ. تعالى عن أنْ يَحْوِيهُ مكانٌ كما تَقَدَّسَ عن أنْ يَحُدُّهُ زمان، بل كان قَبْلَ أنْ خَلَقَ الزَّمانَ والمكانَ وهو الآنَ على ما عليه كان[97]. وأنَّهُ بائِنٌ عن خَلْقِهِ بِصِفاتِهِ، لَيْسَ في ذَاتِهِ سِوَاهُ،

---

[94] كما هو واضح، مقصود الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ بفوقية الله على الأشياء **الفوقية المعنوية**، كَوْنه نَزَّهَ اللهَ عن الأمْكِنة (الأقطار) والجهات، والاستقرار على العرش.

[95] كلام الإمام الغزالي هذا هو في معنى قول الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: « وليسَ قربُ اللهِ تعالى ولا بُعدُهُ مِن طريقِ طولِ المسافةِ وقِصَرِها، ولكن على معنى الكرامةِ والهوان ».

[96] سورة النساء: آية رقم 33.

[97] هذا الكلام مقتبسٌ مِن قول الخليفة الراشد **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللهُ عنه، حيث قال: « قد كان - اللهُ- ولا مكان، وهو الآن كما كان »، ذَكَرَ ذلك عنه الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه "الفَرْقُ بين الفِرَق"، ص 356 مِن طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة، **أو** ص 248 مِن طبعة دار الطلائع، القاهرة 2005. **الجزء الأول** مِن الكلام: « قد كان - اللهُ- ولا مكان» هو في معنى قول الرسول صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم: «كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه » (رواه البخاري في صحيحه برقم **3191**)، والمعنى أنه لم يكن شيءٌ موجوداً سوى الله، فلم يكن ماءٌ ولا هواء ولا عرش ولا أرض ولا سماوات. وأول المخلوقات الماء، خلقهُ الله مِن العَدَم، ثُمّ العرش، ثم القلم. **والجزء الثاني** مِن الكلام: « وهو الآن كما كان » معناه أنه لم يطرأ تغييرٌ على الله وصفاته بعد خلقه للمخلوقات، وخصوصا العرش، **وقال الإمام الشافعي** (ت 204 هـ) رَحِمَهُ اللهُ: « أنَّه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان **وهو على صفته الأزليَّة كما كان** قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغيّيرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته »، ذَكَرَ ذلك الإمام محمد مرتضى الزبيدي في كتابه "إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين" ، مجلد 2 / ص 24 ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت 1994 .وقول الإمام الشافعي الآنف الذِكْر هو في معنى قول **الإمام أبي حنيفة** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الفقه الأكبر": « لم يزلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِهِ، لم يحدُث له اسمٌ ولا صفةٌ »، **فصفاتُ الله لا تتبدل ولا يحدث له صفات لم تكن له من قبل.**

فلو حدثت له صفة لم تكن له مِن قبْل، كالتَّحَيُّزِ على العرش، **فإمّا** أنْ تكون هذه الصِفة صفة نَقْص، **أو** أنْ تكون صِفة كمال. **فإذا** كانت صفة نقص فلا يجوز أن يتصف اللهُ بها بحال لأنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الإتصاف بالنقائص. **وإذا** كانت صفة كمال، فهذا يعني أنّ اللهَ لم يَكُن متصفاً بهذه الصفة الكماليّة مِن قَبْل، ولازم هذا القول هو أنَّ ذاتَ الله كان ينقصها صفة كمال، وهذا باطلٌ لأنّ الله الخالق لم يزل ولا يزال مُتّصِفاً بالكمال ومُنَزّهاً عن النقائص، وعلى هذا يَتَبَيَّن استحالة تحَيُّز الله على العرش . **والحقيقة** هي أنّ التَّحَيُّزَ على العرش، أي الجلوس أو الإستقرار عليه، صفة نقص، لأنه لو تحَيَّزَ الله بعد خلقه العرش بأن جلس عليه، **لأصبح محدوداً**، كون العرش محدوداً، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾، ومعناه أنه لا بداية ولا نهاية له، والذي ليس له بداية ولا نهاية فهو غير محدود. وعلاوة على ذلك: لا يُعقل أنْ يخلِقَ اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدوداً (العرش) ليستقرَّ عليه، ولهذا المعنى **قال** الإمام أحمد بن حنبل: « واللهُ تعالى لَم يَلْحَقهُ تغيّرٌ ولا تبَدل، **ولا يَلحقهُ الحدود** قبل خَلْقِ العرش ولا بعد خَلْقِ العرش »*، **ومعنى** ذلك هو أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الحَدِّ مُطلقا وأنّ صفاته أزَلِيّة وأبدية كذاته.

* ("طبقات الحنابلة" مجلد 2 / ص 256 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997).

وبناءً على ذلك نقول نحن أهل السُّنّة لمن نَسَبَ لله صفة التّحَيُّز، أي الجلوس أو الاستقرار على العرش: لقد نَسَبتَ للهِ الخالق صفة نقص، ونِسبَةُ النّقص إلى اللهِ كُفر.

ومختصر الحديث هو أنّ اللهَ لم يزل ولا يزال موجوداً بلا مكان، فوجوده ليس كوجود المخلوقات. وفيما يلي المثال التالي لتقريب ذلك للفَهم: النور (النهار) والظلام (الليل) مخلوقان كباقي المخلوقات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ﴾ [سورة الأنعام: آية رقم 1]. فاللهُ سبحانه وتعالى خَلَقَ الظلمات والنور بعد أن كانا معدومين، وهذا يعني أنّه كان هناك حالة مخلوقة بدون ظلام وبدون نور، ولكننا لا نستطيع تصوّر تلك الحالة المخلوقة لأنّ العقلَ قد تعوّد على حالة واحدة فقط: إما ظلام (ليل) وإما نور (نهار). ومع ذلك يجب علينا أن نؤمن أنّ تلك الحالة المخلوقة بدون ليل وبدون نهار كانت موجودة مع عدم قدرة العقل على تصوّرها، فالأحرى، ﴿ وَللهِ المَثَلُ الأعلى ﴾، أنْ لا يُدرك العقلُ تصَوُّرَ وجود الله الخالق بدون مكان وزمان، نؤمن بذلك بدون السؤال: كيف ؟ سبحانه خالق المكان والزمان والأجسام والأعضاء.

وهنالك نصوص شرعية تُنَزِّهُ الله عن المكان: 1. قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوّلُ والآخِرُ ﴾، ومعناه أنه غير محدود (راجع الحاشية رقم 23 إنْ شئت)، ولو تحَيَّزَ اللهُ بعد خلقه العرش بأن جلس عليه، لأصبح محدوداً، كَوْن العرش محدوداً، والتغيّر في ذات الله مستحيل. **وقوله تعالى:** ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾ موافق أيضا لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، فكُلُّ مولود حادث، له بداية ونهاية، وكل حادث مخلوق، وكلّ مخلوق محدود ومُتَحيِّز لا مَحالة، فقوله تعالى ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ هو نفيٌ صريح للحدّ والمكان عن الله، فالله سبحانه وتعالى موجود بلا مكان، نؤمن بذلك دون السؤال بكيف.

يتبع ←

ولا سِوَاهُ في ذَاتِه، وأنَّـهُ مُقَدَّسٌ عنِ التَّغَيُّرِ والانْتِقَالِ، لا تَحُلُّـهُ الحَـوَادِثُ ولا تَعْتَرِيـهُ العَـوَارِضُ، بل لا يَزَالُ فِي نُعُوتِ جَلالِهِ مُنَزَّهاً عنِ الزَّوَالِ، وفي صِفاتِ كمالِهِ مُسْتَغْنِياً عنْ زِيادَةِ الاسْتِكْمال، وأنَّـهُ فِـي ذَاتِـهِ مَعْلومُ الوجودِ بالعقول، مَرْئِيٌّ الذَّاتِ بِالأبْصارِ نِعمَةٌ مِنهُ ولُطْفاً بِالأبْرارِ في دارِ القَرارِ، وإتْماماً مِنهُ لِلنَّعيمِ بِالنَّظَرِ إلى وجْهِهِ الكريمِ[98] .

الحياةُ والقُدْرَة:

وأنَّهُ تعالى حَيٌّ قَادِرٌ جَبَّارٌ قَاهِرٌ لا يَعْتَرِيهِ قصُورٌ ولا عَجْزٌ، ولا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، ولا يُعَارِضُهُ فنَاءٌ ولا مَوْتٌ، وأنَّهُ ذو المُلْكِ والْمَلَكُوتِ والعِزَّةِ والجَبَرُوت، لـه السُّلطَانُ والقَهْرُ، والْخَلْقُ والأمْرُ، والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِه[99] ، والخَلائِقُ مَقهُورُونَ في قَبْضَتِهِ[100] . وأنَّهُ المُنْفَرِدُ بِالخَلْقِ والاخْتِراعِ، المُتَوَحِّدُ بِالإيجادِ والإبْداعِ، خَلَقَ الخَلْقَ وأعَمالَهُمْ، وقَدَّرَ أرزاقَهُمْ وآجالَهُمْ، لا يَشِذُّ عنْ قَبْضَتِهِ مَقدُورٌ، ولا يَعْزُبُ عنْ قدْرَتِهِ تَصَارِيفُ الأُمُورِ، لا تُحْصَى مَقدُوراتُهُ ولا تَتَناهى معلوماتُهُ.

←**2. وقال** الرسول ﷺ: « وأنتَ الظاهرُ فلَيْسَ فوقكَ شيءٌ وأنت الباطنُ فليس دُونَك شيءٌ » (صحيح مسلم برقم **2713**)، **فإذا** لم يكن فوقَ اللهِ شيءٌ، وليس تحته شيءٌ بِنَصِّ الرسول عليه الصلاة والسلام فهو موجودٌ بلا مكان. وإذا لم يَكُن تحت الله شيءٌ فهو ليس فوق العرش فَوْقِيّة مكانية، بل فوقية الربوبية، فهو رَبُّ كُلِّ شيء: ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ﴾، وفوقية الأُلوهيّة، فهو إلـهُ كل شيء: ﴿ قُلْ إنّما يُوحَىَ إليَّ أنّماَ إلهُكُمْ إلـهٌ واحدٌ فَهَلْ أنتُم مُّسْلمونَ﴾، وفوقية العَظَمَة والسُّلطان والقَهْر: ﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾ .
3. وقال الرسولُ ﷺ: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرَقتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرشُ على مَنكِبه وهو يقول: **"سُبْحانك أين كنت وأين تكون " »*.**
قَوْلُ المَلَكِ: «سُبحانك أين كنت » هو تنزيهٌ لله عن المكان في الأزل، وسبحانك « أين تكون » هو تنزيهٌ لله عن المكان في الحاضر والمستقبل. فالله لم يزل ولا يزال مُنزّهاً عن المكان. فالمكانُ مخلوقٌ وللمخلوق، والله هو الخالق ومُنزّهٌ عن سِمات الخَلْق. وفيما ذُكِر مِن الأدلة الشرعية والعقلية على تنزيه الله عن المكان كفاية، واللهُ وحده الهادي إلى الصراط المستقيم.

*رواه الإمام أبو يعلى الموصليّ في مُسنَده بسند **صحيح** عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أنظر** "مُسنَد أبي يعلى الموصلي"، رقم الحديث **6588**، مجلد 5 / ص 503 – 504 بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1998. وقد صَحّحَ هذا الحديث الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" (رقم الحديث **3453**)، مجلد 8 / ص 82 مِن الطبعة التي جُمع فيها كتاب "المطالب العالية" لإبن حجر العسقلاني وكتاب "إتحاف الخِيَرَة المهَرة بزوائد المسانيد العشرة" للحافظ البوصيري في كتاب واحد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 2003 . وقد صحّحَ الحديث أيضا الحافظ نور الدين الهَيْثمي في "مَجمعُ الزوائد ومنبعُ الفوائد" له، فقال: « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح »، (جزء 8 / ص 138)، الناشر: مؤسّسة المعارف، بيروت 1986).

98 المُراد بوجه الله **ذات** الله، وهذا هو تفسير الأئمة الصحابي ابن عباس[(1)] رضي الله عنهما والضَّحاك بن مُزاحم[(2)] (ت 102 هـ) ومجاهد بن جبر[(3)] (ت 104 هـ)، وغيرهم مِن كِبار علماء أهل السُّنّة، كأبي منصور البغدادي وابن الجَوْزي والقاضي أبي بكر الباقلاني وابن الجوزي وفخر الدين الرّازي ومحيي الدين النَّوَوي (شارح صحيح مسلم).

(1) أنظر تفسير الإمام القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 27].
(2) "دفع شُبه التّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 113 مِن طبعة دار الإمام النَوَوي، ط 3، عَمّان 2005.
(3) أنظر تفسير الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ ﴾ [سورة القصص: آية رقم 88]. **والمقصود بالآية أعلاه: كُلُّ شيءٍ فانٍ إلّا الله.**

99 المقصود باليمين القدرة وليس الجارحة (العضو).
100 القبضة كِناية عن السَّيطرة التامة، والإمام الغزالي نزَّهَ الله عن الجِسْمِيّة، ومن لوازمها التّركيب مِن أعضاء وغيرها، والحَدّ والتَّحيُّز (الوجود في أو على مكان)، فَنَفْيُ الجِسْمِيّة يستلزم نفي التّركيب والحّدّ والمكان.

العِلْم:

وأنهُ عالمٌ بجميع المعلومات، مُحيطٌ بما يَجري مِن تخوم الأرضين إلى أعلى السَّماواتِ. وأنّهُ عالمٌ لا يَعزُبُ عن عِلمِه مِثقالُ ذرَّة في الأرضِ ولا في السّماء، بل يَعلمُ دَبيبَ النّملة السَوْداء على الصَّخرة الصَّماء في الليلة الظلْماء، ويُدْرِكُ حركة الذَّر في جو الهواء، ويَعلمُ السِرَّ وأخفى، ويَطّلِعُ على هواجس الضّمائر وحركات الخواطر وخفيّاتِ السَرائِر بعلمٍ قديم أزَليّ لم يزلْ موصوفاً به في أزَل الآزال، لا بعلم مُتجَدِّد حاصل في ذاتِه بالحُلُول والانتقال.

الإرادة:

وأنه تعالى مُريدٌ للكائنات، مُدبِّرٌ للحادثات، فلا يَجري في المُلْكِ والمَلَكوت قليلٌ أو كثير، صغيرٌ أو كبير، خيرٌ أو شر، نفعٌ أو ضر، إيمانٌ أو كُفر، عرفان أو نُكر، فوزٌ أو خسران، زيادة أو نُقصان، طاعة أو عِصيان، إلا بقضائِه وقَدَره وحِكْمته ومشيئَته، فما شاءَ كان وما لم يشأ لمْ يَكُن. لا يخرجُ عن مشيئَته لفتةُ ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المُبْدِئ المُعيدُ، الفَعّالُ لِمَا يُريد، لا رادَّ لأمْرِهِ ولا مُعَقِّب لقضائه، ولا مَهرب لعبدٍ عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنسُ والجنُّ والملائكة والشياطين على أنْ يُحَرِّكوا في العالم ذرّةً أو يُسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك.

وأنَّ إرادتَه قائمةٌ بذاته، في جملة صفاته، لم يزلْ كذلك موصوفاً بها، مُريداً في أزَلِه لوجود الأشياء في أوقاتها التي قَدّرَها، فَوُجِدَت في أوقاتها كما أرادَ في أزَلِه مِن غير تقدمٍ ولا تأخُّر، بل وقعت على وفق عِلمِهِ وإرادته مِن غير تَبَدّل ولا تغيّر. دَبَّرَ الأمورَ لا بترتيبِ أفكارٍ ولا تربص زمان، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

السّمعُ والبَصر:

وأنه تعالى سميعٌ بصيرٌ يَسمعُ ويَرَى، ولا يَعْزُبُ عن سمعه مَسموعٌ وإنْ خَفِيَ. ولا يَغيبُ عن رؤيته مَرْئِيٌّ وإنْ دَقَّ. ولا يَحْجبُ سمْعَهُ بُعْدٌ ولا يَدفعُ رؤيتَهُ ظلامٌ. يَرَى مِن غير حدقة وأجفان، ويَسمعُ مِن غير أصْمِخَةٍ[101] وآذان، كما يَعلمُ بغير قلب، ويَبْطشُ بغير جارحة، ويَخلُقُ بغير آلة، إذ لا تُشْبِهُ صفاتُهُ صِفاتَ الخَلْقِ كما لا تُشبه ذاتُهُ ذواتَ الخَلْق.

الكلام:

وأنّه تعالى مُتكلمٌ، أمرٌ ناهٍ، واعدٌ مُتَوَعّدٌ بكلامٍ أزَلِيٍّ قديمٍ قائمٍ بذاتِه، لا يُشبهُ كلامَ الخَلْق، فليس بصوتٍ يَحْدُثُ مِن انسلال هواء أو اصطكاك أجْرام، ولا بحرفٍ ينقطعُ بإطباق شَفَةٍ أو تحريك لسان.

وأنَّ القرآنَ والتوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ كُتُبُهُ المُنَزّلة على رُسله عليهم السلام. وأنَّ القرآنَ مَقروءٌ بالألسنة مكتوبٌ في المصاحف مَحفوظٌ في القلوب، وأنّه مع ذلك قديمٌ قائمٌ بذات الله تعالى لا يقبلُ

---

101 " أصْمِخَة جَمْعُ صِماخ وهو قناةُ الأذن التي تُفضي إلى طبلته" ("شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 107، حاشية رقم 2).

الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق.

وأنَّ موسى عليه السلام سمعَ كلامَ اللهِ بغير صَوْتٍ ولا حَرْف، كما يَرَى الأبْرارُ ذاتَ اللهِ تعالى في الآخرة مِن غير جَوْهَرٍ ولا عَرَض.

وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مُريداً سميعاً بصيراً مُتكلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذّات[102].

الأفعال:

وأنه سُبحانه وتعالى لا موجود سِواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمّها وأعدلها. وأنه حكيمٌ في أفعاله عادلٌ في أقضيته، لا يُقاسُ عدلُهُ بعدل العباد، إذ العبدُ يُتَصَوّر منه الظُلم بتصرفه في مُلك غيره، ولا يُتَصَوّرُ الظلمُ مِن الله تعالى فإنه لا يُصادِفُ لغيره مُلْكاً حتى يكون تَصَرُّفُه فيه ظُلماً، فكلُّ ما سواه مِن إنسٍ وجِنّ ومَلَكٍ وشيطانٍ وسماء وأرضٍ وحيوان ونباتٍ وجمادٍ وجَوْهَرٍ وعَرَضٍ ومُدْرَكٍ ومَحسوسٍ حادثٌ اخترعهُ بقدرته بعد العَدَم اختراعاً وأنشأهُ إنشاءً بعد أنْ لم يَكُن شيئاً، إذ كان موجوداً وحده ولم يكن معَهُ غيرُه[103]، فأحْدثَ الخَلْقَ بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لِمَا سَبقَ مِن إرادتِه ولِما حَقَّ في الأزل مِن كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته. وأنه متفضلٌ بالخَلْقِ والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومُتَطَوِّلٌ بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم. فله الفضلُ والإحسان والنعمة والامتنان، إذ كان قادراً على أنْ يَصبَّ على عباده أنواع العذاب ويَبتليهم بضروب الآلام والأوصاب[104]، ولو فعَلَ ذلك لكان مِنهُ عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً. وأنه عز وجل يُثيبُ عبادَه المؤمنينَ على الطاعات بِحُكم الكَرم والوَعْد لا بِحُكم الاستحقاق واللزوم له، إذ لا يجبُ عليه لأحدٍ فِعلٌ ولا يُتَصوّرُ منه ظلمٌ ولا يجبُ لأحد عليه حقٌّ. وأنَّ حقّهُ في الطاعات وَجَبَ على الخَلْقِ بإيجابه على ألسِنَة أنبيائِه عليهم السلام لا بمجرد العقل، ولكنه بعث الرُسُلَ وأظهرَ صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبَلّغوا أمرَه ونهيَهُ ووعدَه ووعيده، فوجبَ على الخَلْقِ تصديقُهم فيما جاؤوا به.

معنى الكلمة الثانية:

وهي الشهادةُ للرسل بالرسالة وأنّهُ بعثَ النبيَّ الأميّ القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعَجَم والجِنّ والإنس فنَسَخَ بشريعته الشرائعَ إلا ما قَرَّره منها. وفَضّلَهُ على سائر الأنبياء

---

[102] كلام الإمام الغزالي هذا هو ردٌّ على المعتزلة الذين نفوا صفات الله الأزلية كالعِلم والقدرة والسّمع، فقالوا: اللهُ سميعٌ بذاته وليس بصفة السَّمع، والله قادرٌ بذاته وليس بصفة القدرة، إلى آخره. وعقيدة أهل السُّنة تُثبت صفات الله الأزلية، وتنُصُّ على أنّ اللهَ سميعٌ بصفة السّمع الواجبة له، وقديرٌ بصفة القدرة الواجبة له، وعالمٌ بصفة العِلم، إلى آخره. ولقد أثبت اللهُ لذاته صفة العِلم فقال جَلّ ثناؤُه: ﴿ أنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾، وقال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلّا بِمَآ شَاءَ ﴾ ، وقال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في دعاء الإستخارة: «اللّهُم إني أستخيرك **بعلمك**، وأستقدرك **بقدرتك**... »، أخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 147 بتعليق الشيخ المُحَدِّث الكَوْثري.

[103] كلام الإمام الغزالي هذا مقتبسٌ من حيث الرسول عليه الصّلاة والسّلام: « كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه »، رواه الإمام البخاري في صحيحه (برقم **3191**)، وفي الحديث إشارة إلى نَفْي قِدَمِ العالم، وقِدَمُ العالم هو مذهب الفلاسفة.

[104] "الأوصاب، جمع وَصَب، وهو الوجع والمَرض" (" شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 125، حاشية رقم 1).

وجعلهُ سَيِّدَ البَشر. ومنعَ كمالَ الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول "لا إله إلّا الله" ما لم تقترنْ بها شهادة الرسول وهو قولك "محمد رسول الله" وألزمَ الخَلْقَ تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة. وأنه لا يُتَقبّلُ إيمانُ عبدٍ حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموْت، وأوّله: سؤالُ مَنْكَرٍ ونَكِير وهما شخصان مهيبان هائلان يُقعدان العبدَ في قبره سوياً ذا روح وجسد، فيسألانه عن التَّوحيد والرِّسالة ويقولان له: مَنْ رَبُّكَ وما دينُكَ ومَن نبيّك؟ وهما فتّانا القبر، وسؤالهما أوّلُ فِتنة بعد الموت. وأنْ يؤمن بعذاب القبر، وأنه حقٌّ وحُكمه عدلٌ على الجسم والروح على ما يشاء.

وأنْ يُؤمن بالميزان ذي الكفتين واللّسان وصفته في العِظَم أنّه مِثلُ طبقات السّماوات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذّر والخَردل تحقيقا لتمام العدل، وتوضعُ صحائِفُ الحسنات في صورة حسنة في كفة النّور فيثقلُ بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله، وتُطرحُ صحائِفُ السَّيئات في صورة قبيحة في كَفّة الظُلْمَة فيخفُّ بها الميزان بعدل الله.

وأنْ يؤمن بأنّ الصراطَ حقٌّ وهو جسرٌ ممدودٌ على مَتْنِ جهنم، أحَدُّ مِن السّيف وأدَقُّ مِن الشعرة، تَزِلُّ عليه أقدامُ الكافرين بحُكم الله سبحانه، فتهوي بهم إلى النّار، وتثبتُ عليه أقدامُ المؤمنينَ بفضل الله فيساقون إلى دار القرار. وأن يُؤمن بالحَوْض المَوْرود، حَوْض محمد صلى الله عليه وسلم، يشربُ منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط. مَنْ شربَ منه شُربة لم يظمأ بعدها أبداً، عرضه مسيرة شهر، ماؤهُ أشدّ بياضاً من اللّبَن وأحلى مِن العسل، حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء، فيه ميزابان يَصُبّان فيه مِن الكَوْثر. وأنْ يُؤمن بالحساب وتفاوتِ الناس فيه إلى مُنَاقشٍ في الحساب وإلى مُسَامَحٍ فيه وإلى مَنْ يدخل الجنة بغير حساب وهم المُقَرّبون. فيَسألُ اللهُ تعالى مَن شاء مِن الأنبياء عن تَبليغ الرسالة ومَن شاء مِن الكُفار عن تكذيب المرسلين، ويسألُ المُبْتَدِعَة عن السُّنّة، ويسألُ المسلمين عن الأعمال. وأنْ يَؤمن بإخراج المُوَحِّدين مِن النار بعد الانتقام حتى لا يَبقى في جَهنَّم مُوَحِّدٌ بفضل الله تعالى، فلا يَخلُدُ في النار مُوَحّد[105]. وأنْ يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهِه ومنزلته عند الله تعالى، ومَن بقيَ مِن المؤمنين ولم يكن له شفيعٌ أُخْرِجَ بفضل اللهِ عزَّ وجلّ فلا يَخلُدُ في النّار مؤمنٌ، بل يخرجُ منها مَن كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ مِن الإيمان. وأنْ يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأنّ أفضل الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم. وأنْ يُحْسنَ الظنّ بجميع الصحابة ويُثني عليهم، كما أثنى اللهُ عزَّ وجلّ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين.

فكلُّ ذلك مِمّا وَردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمَن اعتقد جميع ذلك مُوْقِناً به كان مِن أهل الحقِّ وعصابة السُّنّة وفارَقَ رَهْط الضلال وحِزب البِدْعة. فنسأل الله كمالَ اليقين وحُسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحمَ الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كُل عبد مصطفى].

انتهى مَتنُ عقيدة الإمام الغزالي رحمه الله.

---

105 قال النبي ﷺ: « يَخْرُجُ قَوْمٌ مِن النَّار بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ فَيَدْخلونَ الجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ »، رواه الإمام البخاري في صحيحه، برقم **6566**. وفي روايةٍ عن أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللهُ عنه جاء فيها أنه يُقال للجَهنميِّين بعد مُكُوثهم في الجنّة مدة: «تشتهون شيئا؟ فيقولون: أنْ يُرفع عنّا هذا الاسم ، قال: فيُرْفَعُ عنهم»، أخرجه الحافظ أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرَّشاد"، ص 107، طبعة دار ابن حَزْم، ط 1، بيروت 2003.